مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية | ISSN: 2437 - 0363 EISSN 2602-6767 | المجلد 07 / العـدد: 01 (2021)، ص 932- 952

رمزية الأرض في روايات عز الدين جلاوجي

The Symbolism of rhe Earth in The Novels of Izz al-Din al-Galawdji

مريم أنيسة جبالي[1*] احمد حاجي [2]

[1] جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، meriemjbali2009@gmail.com

[2] جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، Hadji.univ@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/09 تاريخ القبول: 2021/05/31 تاريخ النشر: 2021/06/23

ملخص:

عندما يحاول الكاتب يرفع وعي القارئ بقيمة وقدسية الأرض فإنه يلجأ إلى الخيال وكثرة استعمال الرمز لتكثيف دلالاتها ومعانيها .ومع تنوع ظهور الرمز في روايات عز الدين جلاوجي فإن ذلك يكشف عن عمق اتصال الكاتب بالتراث والأسطورة التي تعكس مستويات الوعي واللاوعي لديه،ومع كل قراءة تكسر أفق انتظار القارئ ليستخلص معاني جديدة أحيانا تكون ظاهرة وأحيانا أخرى تكون خفية بعد فك شفرات الرموز التي يعمد الكاتب توظيفها في روايته لتعميق المعنى و تنويعه

كلمات مفتاحية: الأرض .الجازية ،عبلة الحلوة، الشجرة

Abstract :

When the writer tries to increase the reader's awareness with the value and divinity of the earth, he refuges to the imagination and the frequent use of the symbol so as to intensify its significance and meanings. and with the variety of the symbol's appearance in the novels of Izz al-Din al-Galawdji, this reveals the depth of the writer's connection with the heritage and myth .that reflects levels of consciousness and his unconscious. With each reading, it breaks the horizon of the reader's waiting to extract new meanings, sometimes they are apparent and at other times they are hidden after decoding the codes that the writer adopts employing in his narration to deepen and diversify the meaning

Keywords: Earth , Jazzy , Abla Sweet , Tree

*المؤلف المرسل

مقدمة:

إن تعلُّق الكاتب بأرض الوطن وتوقه الى الارتقاء بمعانيها الى مستوى الرواية المشرقية وشاعرية أدبائها دفعه الى توظيف الرمز وانتقائه بدقة في رواياته ، فشاعرية محمود درويش التي أُلهم الكاتب برموزها كانت تعكس مفهوم الوطن والارض والتراب بمعانيها القدسية ،حيث كانت فلسطين معشوقته النهائية ،واجتماع كل هذه الادوات الفنية التي وظفها المشارقة في أشعارهم وروايتهم تجعل القارئ يطرح عدة تساؤلات منها:

هل يمكن أن تصل رمزية الارض بدلالاتها المختلفة عند الروائي عز الدين جلاوجي الى هذا المستوى الشاعري و الرقي الفني في الرواية المشرقية أم تقف عند مستواها السطحي الذي لا يتجاوز معناها الظاهر ؟ وباستعماله لهذه الرموز أي هذه الدلالات التي يراها الكاتب أقرب الى المعنى من غيرها في إظهار حب الوطن والارض ؛هل باستعمال رمزية المرأة وما تحمل من حس مرهف؟ أم برمزية الاب وما يحمل من بعد تاريخي؟ أم باستعمال رمزية الطبيعة بمختلف عناصرها التي تؤكد قدرة الكاتب الفنية في تعميق معنى الهوية والانتماء للوطن والارض ؟

ماذا لو اجتمعت كل الأجناس الأدبية في روايات عز الدين جلاوجي والتقت شاعريته بحبه لوطنه، وأرضه الجزائر، وامتزج هذا الحب بالطبيعة الجميلة وتراب أرضه وخضرتها، وبتراثها الشعبي الأصيل وما تحمل من رموز ، فهل يمكن أن تحقق للكاتب كل الأبعاد منها الانسانية والتاريخية والدينية التي يسعى جاهدا لإيصالها الى القارئ لتكتمل لديه معنى الهوية و الانتماء؟

إن رموز جلاوجي التي تعادل الارض في وصفه كثيرة إذْ " لم تكن ترابا ، مكانا ، مناخا ،وأشجارا ، كما لم يكن مفهوما تاريخيا ، جغرافيا فقط ،بل كانت في الآن نفسه مفهوما رمزيا حركيا ينطوي على كل الدلالات "(بيضون ،1991م،ص55) فقد جعلها قالبا يصب فيه كل معاني الصبر ،ولعنفوان ،والتحدي والجمال الذي يخطف الأبصار تحبيبا لأرض الوطن على مستوى الحسي الواقعي لا المجرد ،وتقريب حس حب الوطن إلى قلوب غلفتها المادة ،لأن طبيعة القلوب تهفو الى الحس الجمالي الذي يجدد ضمائر الناس فيحتويها

ويحييها تماما كما يحي الماء الزرع في منبته ،لذا نجد جلاوجي أحسن اختيار رموزه وأحسن توظيفها في روايته ليمتع القارئ بها ومن تلك الرموز :.

1- الأرض _الحبيبة

هذا الحب العميق الذي سعى الكاتب إلى رسمه في شخصية المرأة الروائية لأنها الأنسب لتقريب الصورة وتعميق الفكرة ،ألم يقل محمود درويش: **إنني العاشق والأرض حبيبه**(درويش ،1983،ص:347)

فالأرض الحبيبه عند الشعراء منهم محمود درويش هي الأقرب لتعميق الصلة بين الأرض ومحبيها، والعاشق للمرأة لا يجد الأدباء منهم جلاوجي لها بديلا في الرمز لتقريب معنى العاشق للأرض لإدراك قوة هذه الصلة وعمق دلالاتها عند القارئ

1.2-الجازية

شخصية تراثية تحمل موروثا شعبيا ثقيلا وعريقا، والكاتب بهذا يحيلنا إلى التغريبة الهلالية وقد جعلها جلاوجي رمزا للتمرد وعدم الخضوع "(حطاب ،2009،ص..) والجازية في الرواية صورة جميلة مقابلة في مقامها للأرض رمز للوطن الذي يحمل من لونها سمرة الأرض، رمز للصمود فهي المهرة تدافع عن القيم والشرف، وهي نموذج الوطن الجميل الذي يقاوم الفساد بأنواعه خاصة منه الاجتماعي، وقد مثلت هي وذياب ثنائي الدفاع عن القيم والأخلاق التي تخلى عنها كل من فتَنَتْهُ المدينة، وبنزوح الجازية من الريف إلى المدينة يحمل مخزونا تراثيا، خاصة داخل الثقافة العربية، فالجازية في الرواية تكون خلفية العمل الفني الذي يربط فيه الكاتب جلاوجي بين الماضي النقي الطاهر فهي رمز للأرض المتجذرة في نفوس الجزائريين، وبين الحاضر المتعفن، الذي يدعو فيه الكاتب على لسان الجازية إلى التصدي للواقع المتصدع،ومزيد من المواجهة لقتل كل من يريد بهذا الوطن شرا.

والكاتب يظهر في روايته هذا النزوح الذي يغلُب عليه البعد الإنساني أكثر من البعد الأيديولوجي السياسي الذي طبع الكثير من روايات رواد السبعينيات من بينهم طاهر وطار وتوجهه الاشتراكي في رواية الحوات والقصر الذي يمثل فيها" علي الحوات صورة الصراع في مسألة الحكم والقيام بالعدالة أو الديمقراطية الشعبية "(اردغان،1996،ص:100) ،وكذا توظيف بن هدوقة للتراث في روايته "الجازية والدراويش" تأصيلا لتوجهه الواقعي

الأيديولوجي "فهو يعالج من خلاله واقع الأرض والثورة الزراعية، ويقف عند الطلبة الذين تطوعوا للوقوف إلى جانب القرويين الذين يرون في الجازية رمزا للصمود، والمقاومة، فالأحمر الطالب استطاع أن يبارز الجازية، والجازية عند بن هدوقة رمز لكل من آمن بالعمل ... فهذا الحدث يقودنا إلى مشروع الألف قرية اشتراكية، وقد بدأت به الجزائر في السبعينيات إثر تطبيق الثورة الزراعية "(اردغان،1996،ص:97)

ومن هنا أصبح إيمان الكاتب جليا بأن" التجذر في المحلية هو السبيل الوحيد المفضي إلى تأصيل الرواية العربية وتخليصها من قيود التبعية"(الزمرلي،2007،ص:159) وكذا لتوضيح رؤيا الكاتب التي لا تمت صلة بالبعد الأيديولوجي بل لترسيخ البعد الإنساني الذي يدعو للخير ونشره بين الناس، ففي نظر واسيني لعرج "أن الروائي المغاربي قادر على الجمع بين توظيف التراث،واستغلال البنية الروائية، من دون أن يتقيد بالرواية الغربية أو يخل بمنزعه التأصيلي، فالاستناد إلى التراث يمكنه من إثبات كيانه الثقافي، والاجتماعي (الزمرلي،2007،ص:161)

وعودة الكاتب إلى التراث "بذخائره التي تنفذ، ليتخذ منها وسائل وأدوات فنية تساعده على ما يصبو إليه من التغيير والتطوير لحاضره الذي يعيشه، ومن ثم مستقبله، ومستقبل أبنائه الذي يحرص على تقدمه وازدهاره"(كندي ،ص:145)

الجازية عند الكاتب جلاوجي تختلف عنها في رواية بن هدوقة لأنها تحمل ملمح الأرض الوطن بسمرتها، وجمالها، وعطائها ’حين تتسلل إلى ذاكرة ذياب يقول:

كانت هيفاء ممتلئة خصبا، ونماء.. سمراء بلون الأرض المعطاء..

في عينها حس، متمرّدة، وكبرياء كئيبة(جلاوجي،2006،ص:49)

و"الجازية" عند الكاتب بهذا الوصف الشاعري رمز للأرض الخصبة ،رمز للعطاء ،رمز للوطن الرافض لكل أنواع الظلم، متمردة على الواقع الذي يمثله محمد لمد ،رمز للحبيبة " ولم يكن حبا رومنسيا يلجا إليه الأديب للهروب من الواقع المتعفن وقد يكون قريب من قول الشاعر محمود درويش رحمه الله " حبيبتي هي الأرض ،وأنا أتغزل بها... بالوطن الإنسان والقيم"(درويش،1983،ص:618) ويمثل تعلق ذياب الكبير بالجازية وخوف صالح الرصاصة عليها، دلالة على حب عميق للوطن، فالجازية تمثل الهوية التي يتمسك بها كل من منير وذياب، وصالح رصاصة.في رواية راس المحنة.

لم يستطيع أحد من تلك الشخصيات البقاء في المدينة بعيدا عن الجازية لأن المدينة فقدت كل معالم القيم والأخلاق، وحين رحل الجميع عن القرية لم يعد لأي شيء طعم، يرى منير أن كل شيء فقد جنسيته، فبغياب الجازية عنها" كل شيء ضيع عذريته ... حتى أمي الوديعة الطيبة لم تعد كذلك .. وصرت لا أعود من الجامعة هروبا من القحط الذي طفق يزحف عنكبوتيا على كل شيء في القرية(بلقايد،1988،ص:04)

كأنما الجازية هي الهوية، هي الماء الذي يروي الجذور فتنتعش، وترجع الحياة إليه، هي أرض الوطن الذي يعيد الحياة لكل متمسك به.

حين تعود الجازية الى القرية كل شيء يورق ويخضر لأنها هي "الارض"

حين تعود الجازية كل شي يعود..

يعود الإشراق للقمر

تعود الأوراق للشجر

تعود الأنسام للهضبات وقد ضمختها حناء الشفق الوردي..

تعود أسراب الكروان إلى التحليق والتغريد(جلاوجي، مرجع سبق ذكره ،ص:48) .

فحين عودة الجازية للقرية كل شيء يورق، ويخضر لأنها هي الأرض النقية، الجازية رمز للحياة، أينما حلت كان الخير والخصب، والأحلام الوردية التي يتغنى بها الشباب، هي الوطن والأرض الذي تتحقق عليها أحلام الشباب، وتزهر.

نرى الكاتب يستوقفنا دائما مع جمال الجازية وهو يسرد أحداث روايته، يذكِّر بالأرض يسترق الأنظار لجمالها وذياب يتغزل بالجازية، التي تحمل لون الأرض، فلا يهنأ له بال حتى يخلِّصَ الجازية (الأرض) الوطن ممن يريد اغتصابها، والكل يسارع لذلك ذياب، منير، الحلوة، الكل فدى الجازية لتخليصها من محمد لمّد، بؤرة الفساد ومركز إفساد الهوية(جلاوجي، 2008، ص: 179)

شخصيتة الجازية وذياب في الرواية يحضران بالدلالة ذاتها في التراث، "والحب الفردي الذي ربطهما يقودهما إلى الحب الكبير أي حب الأرض الوطن حب الجزائر وذياب في حبه للجازية إنما يعبر عن حبه للوطن " (حطاب،2009،ص: ....)

في مشهد آخر الجازية تسأل ذياب:

"مالذي جاء بذياب إلى هذه الأرض؟

فيجيب ضاحكا:

لأنه كان يحب الجازية

وما علاقة الجازية بهذه الأرض؟

الجازية هي هذه الأرض "(الجلاوجي ،2006،ص:28)

وبهذا الحوار الذي يظهر الحب السرمدي الطاهر النقي الذي يبين فيه الكاتب الحب الخالص والقوي والصادق للوطن الذي فيه يجمع برمزيته بين الأرض والجازية التي تجذب حب المخلصين لها .

2.2-عبلة الحلوة

والكاتب يدهشنا بوصفها، ويجعل شباب حارة الحفرة يحلمون بها بداية من عبد الرحيم، فهي لوحة فنية يقف منبهرا لجمالها وسحرها كل من يراها:

"هذه الحلوة إلهة الجمال والحسن الفتنة (جلاوجي ،2006،ص:94)"

تختال في مشيتها..

تضرب قدميها على الأرض المتربة في زهو شديد(جلاوجي ،2006 ،ص:93) .

فعبلة الحلوة بهذا الوصف رمز لأرض "الوطن"عند جمالها يقف الجميع صامتين يشدهم سحرها فلا يجد أحدا بديلا لها، يتسمر الجميع لحسنها :

"صمت الجميع في المقهي وتسمَّر الذين كانوا يستندون الجدار... نقلت الطرف بين الجميع وسريعا عدت أرتوي من فيض جمالها(جلاوجي ،2006 ،ص:93) .

وفي صورة جميلة يعكسها الأديب ليبين كيف يمكن لمن تمسَّكَ يوما بحب وطنه أن ينساه، ويتخلى عنه وهو في أمس الحاجة إليه حين يغتصبه الحاقدون، إذ يقول:

"أين عبلة الحلوة لماذا نسيها الناس؟ لماذا ننسى جراحاتنا بسرعة .. نذر فوقها الرماد وننسى؟ وحده عزوز الدود ظل

يذكرها ..ظل يحدث بها في كل مجلس ..ظل يحملها في قلبه أملا جميلا مشرقا وعبقاى..هل المجانين عندنا أكثر وعيا منا وأكثر وفاء..أم أن الآخرين لهم ما يشغلهم (جلاوجي ،2006،ص:147) .

وإن تناسا عبلة الحلوى الكثيرون في فترة ما فإنَّ حدث اغتصابها قد أثار في حارة الحفرة "روح الثورة والتمرد على شتى أنواع الظلم والاستغلال الذي يحمل رايتها محمد لملمد،

وأتباعه، مما يدفع بالمخلصين لهذه الأرض للذود عنها بالثورة والثأر لمن اغتصبها ومن ثم تغيير الواقع الظالم، فعبلة الحلوة بهذا، "رمز متعدد الدلالة، إنها رمز للشرف العربي، ورمز للوطن المعتدى عليه، رمز للضياع العام للوطن، وفي نفس الوقت رمز للتحدي والمواجهة "(حطاب ،2009،ص05).

وهذه نظرة تفاؤلية يرمي بها الكاتب في قلوب المخلصين لأرضهم، فيجعل أمل رجوع الوطن إلى سالف عهده باق في قلوب الناس، مهما مس الوطن من فتن، ومهما عمر بالحاقدين.

فالكاتب يصور سعي المخلصين من حارة الحفرة للانتقام من محمد لم لمد فتسبقهم عبلة الحلوة، لأنها الحبيبة الأرض التي تأبى أن يعيش محبيها في رعب وظلم، وترضى أن تكون هي الضحية ولا ترضى أن ترى ضحية أخرى يعتدي عليها محمد لمد، وفي مشهد مؤثر يصف فيها سعي الجميع لقتل محمد لمد، تسبقهم عبلة الحلوة لتوقف الجرح والنزيف .فتكون هي المضحية :

"على مرمى حجر تقفين مهرة جامحة .. تلتصق الشقراء به .. يعدو منير، يسبقه ذياب .. تحدق فيك عيون البنادق شزرا .. تشحذين القلب .. تشحذين الخنجر .. تدفعينه نحو القلب .. تغرسينه فيه .. يتهاوى نحوك جثة هامدة .. قبل أن يصل إلى الأرض .. ترفعين بصرك..تلمحين الشقراء تغرس خنجرها في كبده" (جلاوجي،2006 ،ص:225).

نجد المرأة عند جلاوجي تحمل أبعادا إنسانية، ففي رواية راس المحنة شخصية عبلة الحلوة ترمز لمحنة الجزائر، فقد تساءل صالح رصاصة كيف يمكن لأبناء الوطن أن يغتصبوا أرضهم ووطنهم ولم تنعم بعد بالحرية،فعمر الحلوة 18سنة هي في زهرة العمر،وهي تقابل أرض الجزائر في حداثة عهدها بالاستقلال، يحلم شبابها بتطويرها وتشييدها فيتفاجأ الجميع باغتصابها،كما تفاجأ أهل حارة الحفرة باغتصاب عبلة الحلوة.

وهذه رمزية أخرى لعبلة الحلوة بالإضافة إلى أنها ترمز للوطن فهي في نظر عبد الرحيم غالية، لا تقدر بثمن ،وقيمة الأرض عند المخلصين أغلى من الذهب ،لتأكيد التمسك بها والحفاظ عليها، فالكنز الذي يفقد لا يمكن استرجاعه بسهولة.

3-الأرض الأم

الأرض كما عرفناها هي الخصب، والنماء، والعطاء، وما كان ليحمل هذه الرمزية إلاّ الأم بحنانها الدافق، وخيرها الذي تنشره بين أسرتها وأهلها وعشيرتها، وقد ذكرها محمود درويش في بعض قصائده، فكانت مثالا للحنان المتدفق بصمت، تشبه في صمتها الأرض، تعطي الناس بسخاء وهي صامتة، لا تنتظر الشكر ولا الجزاء من أحد، محمود درويش يصف الأم فيقول :

يا أمي ...جاوزت العشرين ...فدعي الهم، ونامي(درويش ، 1983 ،ص:37).

فلأنها الأم منبع الحنان صامتة مثل الأرض فإن تكلمت فبالدموع، والنظرات،ولكنها تملك سيطرة عاطفية على الآخرين لا حدود لها ،على الرغم من حزنها وصمتها وضعفها، لذلك يشكو لها الشاعر محمود درويش رحمه الله همومه ... ويدعوها إلى ترك الهم، والخلود إلى النوم وهو يطمئنها بتمسكهم بها .

أما الكاتب عز الدين جلاوجي فهو قريب من هذه الشاعرية المرهفة فيعطي للأم صورة رائعة تعكس عطاءها اللامحدود،فيصف قوة دفاعها وفدائها لأبنائها باحتضانها لهم؛ تحميهم من الغيلان المتوحشين بجسدها الدافئ في رواية الفراشات والغيلان، بصمت تحتضنهم ،فلم يعرف الطفل محمد قيمة حنانها المتدفق إلا بعد أن افتقدها.

هي الأرض التي يحاول الكاتب إيصال معانيها للقارئ، هي التي لا يمكن أن نفرط فيها، ولا أن ننساها مهما طال الزمن، فهي في فترة الرخاء لم تبخل علينا بشيء، تعطي الخير للجميع بلا مقابل، والطفل محمد يصف احتضانها له في الرواية قبل أن يغتالها الغيلان ،فالأم في نظره تموت لتهب لأبنائها الحياة، "شدتني أمي شدا قويا ... ما أعظمك أيتها الأم !! سامحيني إن أخطأت يوما في حقك .. وإن تجاوزت حدي في الشقاوة معك ... لم أكن أدرك أبدا أن الأمومة عظيمة إلى هذا الحد الكبير .. لم أدرك أبدا أن الأمومة يمكن أن تسعد بالموت لتهب أولادها الحياة ..

لن أنساك أيا أمنا ..

ستعيشين دوما في قلبي الصغير ..

في قلبي الذي سيكبر ...

يكبر ...

يكبر "... (جلاوجي ،2006 ،ص:15)

فتذكُّرُ الطفل أمه حسب الكاتب في الرواية تجعله كبيرا، لأن حب الأرض في قلب الطفل يكبر ويكبر معه حلم العودة حين إحساسه بالضياع في الغربة، فالأم رمز للأرض تمثل للطفولة الحماية والطمأنينة.،و الذاكرة التي لا تنسى مهما طال البعد.

والكاتب يصف قوة حضنها وحبها لولده محمد وهي تدفع عنه مخاوف الغيلان المفترسين الذين التهموا باب الغرفة، إذ يقول : "أحسستها تضغطنا حتى تكاد تدخلنا صدرها " (جلاوجي ،2006 ،ص:12)

كل هذا الإحساس القوي بالحماية، والطمأنينة، لم يكن الكاتب ليشغل أي شخصية بهذا الدور القوي إلا الأم، رمز أُختِيرَ بدقَّةٍ ليمثل الأرض أحسن تمثيل، إن حسن انتقاء الكاتب لهذه الشخصية، وتخير المشاهد التي توحي بمدى عطاء الأرض، ومدى احتضانها لأبنائها تماما كما في الفكر الميثولوجي الذي نرى الكاتب متأثرا به إلى حد كبير، ليجعل من الأرض ذات بعد إنساني، ولا يمكن لأحد أن ينكر هذا الحنين الفياض للأم، فصورتها لا تبرح مخيلة الطفل عمر حتى بعد خروجه من أرض كوسوفا، فهي مغروسة في ذاكرته، ليكون حلم العودة واسترجاع الأرض المغتصبة من أيدي الغيلان حقيقة واضحة لا لبس فيها ،

فالكاتب ربط في الدلالة بين عدم نسيان محمد لأمه التي احتضنته بعدم نسيان أرضه كوسوفا التي عاش طفولته في أكنافها .

"كانت أمي رحمها الله– تبكي لكل شيء حتى للفرحة تشرق على تضاريس وجهها المتألق .. تعبق على شفتيها الرقيقتين . كانت رحمها الله تحرم نفسها حتى من ألذ ما تشتهي لتؤثر به الآخرين مهما كان هؤلاء الآخرون .. ومهما كانت درجة قربهم أو بعدهم عنها، كانت رحمها الله _ كلما حل يوم الجمعة أعدتْ طعاما كثيرا لتأخذه معها إلى الجامع حيث تؤدي صلاة الجمعة مع والدي وجدتي فتعطي ذلك الطعام للفقراء والمعوزين (جلاوجي ،2006 ،ص:33)

عطاء الأرض في المثال كعطاء أم محمد في رواية الفراشات والغيلان يكشف عن مدى حبها لأبناء القرية، فالكل في نظر الكاتب يعيش من خيرات الأرض مهما كانت درجة قربهم أو بعدهم عنها، وهذه دعوة من الكاتب لتصحيح النوايا، وإعادة النظر لقيمة الأم .ومدى إخلاصنا لأرضنا ووطننا.

وقد جمع جلاوجي بين الأرض والتاريخ الذي لا يمكن بحال من الأحوال الفصل بينهما في مشهد قوي في رواية رأس المحنة، حين زار صالح رصاصة قبر أمه رمز للأرض وقبر أبيه رمز لأصالة الأرض وتاريخها،

فهو يقول " وحدي كانت ترفرف بين عيني وصيته ... أدفني عن يميني أمِّكَ ... وتغرورق عيناه فرحا ... كنت على يقين أنه سعيد بهذه الموتة لا لأنه فاز بالشهادة فحسب .. ولكن لأنه سيلتقي أمي التي أحبها بجنون وماتت في ريعان شبابها تاركة في قلبه جراحا عميقة لم تستطع السنون الطويلة أن تردمها، لقد عاش ومات لأجل اثنين : أمي والجزائر .. ولم تنسه أمي التي أحبها بجنون حب الجزائر ... ولم تنسه الجزائر التي كان يحبها حد القداسة أمي "(جلاوجي ،2006 ،ص:17)

فقد جمع جلاوجي بين الأم الجزائر وتاريخها المجيد والأصيل لأن كلاهما يمثلان لأبناء الوطن الحماية والأمان

وكأنها وقفة لمراجعة إخلاص كل منا لأمه أرض "الجزائر" التي عانت إرهاب التقتيل والذبح، بين الأبناء، فموتُ الأم بموت أبنائها .

والأم في رواية الفراشات والغيلان رغم عطائها تلوم نفسها بالتقصير والإهمال تتوضح هذه الصورة بقول محمد "غطت أمي على فمي بقوة أشد وهي تقول: ضيعتكم يا أولادي ... ضيعتكم،رحماك يارب رحماك(جلاوجي،2006،ص:12)، فرغم وفائها وحبها ومجازفتها بالنفس لأجل حياة أبنائها لا تزال ترى نفسها الملامة كل مرة مس أبناها أذى أو مكروه.

4- الأرض _الأب

يستلهم الكاتب روح التاريخ، والأصالة من الأب فهو رمز للقيم التي يجب التمسك بها مهما كان، وهو أيضا يمثل التراث الذي يدعو الكاتب على لسان شخصيته الروائية بضرورة الحفاظ عليه،وصالح الرصاصة يؤكد على ضرورة إتباع وصايا الأب يقول : "والدي الذي تعرفونه .. والدي الذي قدم روحه في المعركة كي يحميكم .. والدي الذي كان أبوكم كلكم .. ليس ممكنا أن ننسى وصيته الغالية .. "يا ولدي لا تخن أرضك ولا تخن عهد الرجال " وكان حلمه الأكبر أن أدفن قريبا منه وهذا من حقه .. لقد كان لي أما وأبا، ضحى بشبابه من أجلي ولن أنساه "(جلاوجي ،2006 ،ص:20).

فالأب في الرواية هو تأكيد من الكاتب على ضرورة التمسك بالقيم ومبادئ الثورة بالحفاظ على التاريخ ومكتسباته والتي على أساسها خدمة الأرض والإخلاص لها، فالأب يمثل التاريخ الذي يمثل الهوية، ومحمود درويش حين أوصاه أبوه يقول:

"وأبي قال مرة:

الذي ماله وطن

ماله في الثرى ضريح

...ونهاني عن السفر "(درويش،1983،ص:146).

فهي تشبه قول نوراة في ردها على زوجها كريم الذي أراد أن يقلل من شان أبيه الذي تفاني في خدمة أرضه "أبوك شريف كالأرض، طاهر كالماء الذي يسقيها .. فهو عندي أعظم من أثرياء الأرض " فالأرض عند الكاتب طاهرة، وتاريخ أصالتها متجذِّر.

5- الأرض _الأخت

هي ربما عند جلاوجي ترمز للأرض التي تطلب الرعاية، والحنان والعطف، "فالطفل محمد في رواية "الفراشات والغيلان" ينشغل برعاية أخته وتضميد جراحها التي تسبب في نزيفها الغيلان، كان دائم التفكير بصحتها، فالأخت هي الأرض التي تستنجد بمن هم من تربتها، لمداواة جرحها وإنقاذها والدفاع عنها يقول الطفل محمد في الرواية: "تذكرت أختي الصغيرة أماتت هي أيضا؟

حولت بصري ببطء تأملتها كانت ممددة حيث كانت، وقد تلونت كلية باللون الأحمر.. لقد تجمد الدم على وجهها وشعرها الحريري وثيابها الزاهية ...

رجعت القهقرى عجلا ناسيا كل مل تملكني من ذعر، غير مبال ببرك الدم الذي بدأ يتجمد على أرضية الحجرة.

مددت إليها يدين مذعورتين .. مسحت وجهها بيدي .. ثم بمنديل كان في جيبي .. لقد أشرق وجهها ... غدا شمس الأصيل تعصبها سحابات حمراء..

لاحظت صدرها يعلو ويهبط قليلا قليلا... كذبت عيني ... حدقت جيدا لم أستطع أن أتأكد ... وضعت يدي على أنفها إنها تتنفس تنفسا رقيقا يعبر أنفها داخلا خارجا ... وضعت أذني على صدرها، جاءتني دقات قلبها البريء تعزف سنفونية الحياة بصعوبة"(جلاوجي ،2006 ،ص:14) .

والأخت في الرواية تعطي معنى عودة الحياة إلى الأرض رغم المصاب، لأنها أحَسَّتْ بحنو أبنائها ورعايتهم لها.

هي الأخت رمز للأرض عندما تُحَوَّلت تربتُها إلى جثث مكوَّمَة ارتعدت الأرض وخافت، والطفل محمد في الرواية يخفف عن أخته هذا الرُعْبَ والخوف:

"اقتربت مني عائشة مرعوبة باكية، غرست رأسها في صدري، لقد هالها ما كانت ترى .. ضممتها إلى صدري مهدئا "(جلاوجي ،2006 ،ص:17) .

وحين نقرأ لمحمود درويش مقطوعة له عن أخته التي ترمز إلى أرض فلسطين نجدها قريبة من صورة الأخت في رواية "الفراشات والغيلان:"

وتصرخ بي وكل صراخها همس

أخي !يا سُلَّمِي العالي

أريد الشمس بالقوّه !(درويش ،1983،ص:100) .

فهي تستنجد بأخيها لترى النور على يديه، لترى الحرية والطمأنينة بالقرب منه.

6- الأرض _الطبيعة

لم تكن الطبيعة عند جلاوجي تعني الرومانسية التي يستلهم منها الأديب أحاسيسه ومشاعره، فيتغنى بجمالها، ويَصُب فيها مشاعر الحزن والفرح "و قد تعوَّدَ الرومانتكيون من إسقاط مشاعرهم عليها وإلباسها من عواطفهم ثوبا بشريا حيا "(فتوح،1979،ص:310) . ولكن يستمد منها"صورة الرمز من واقع الطبيعة المألوف ويحاول بعث الحياة في أوصالها بما يسبغه عليها من خصائص إنسانية " وهذا التوجه لدى الرومانتكيين الذين " اكتفوا من الطبيعة بأن تقوم بدور الشريك الذي يقاسمهم الكآبة والبهجة، ولم تذب في نظرهم تلك الحواجز التي تفصل بين عالمي الذات والموضوع بغية خلق امتزاج بين الشاعر والوجود"(فتوح،1979،ص310) . لقد تغيرت هذه النظرة عند الأدباء المعاصرين منهم الروائي عز الدين جلاوجي بشاعريته التي تعودناها منه يعكس بفكره واقعا أكثر رحابة وعمقا،"فلم يعد يقتصر على الظواهر المادية في الطبيعة، بل امتد إلى نطاق الظواهر النفسية غير المنظورة، وهي ظواهر استأثرت باهتمام الرمزيين، باعتبارها الحقيقة التي لا حقيقة سواها،والتي ترتد إليها مظاهر العالم المادي المتغير"(فتوح،1979،ص:311) .

تتنوع الطبيعة عند جلاوجي على حسب احتياجه لها أثناء سرده لأحداث الرواية، تصل إلى حد إعطاء الطبيعة دور الشخصية المحركة والمكثفة للأحداث، تعكس البعد الروحي والإنساني للأديب .

فالطبيعة تمثل للأديب الأرض التي يُكِنُ لها كل الحب، فهي تستهويه بكل ما فيها من عناصر لأنها تمثل الجذور، التاريخ، الأصالة، الانتماء،العقيدة والهوية ..،وعلى قدر ما تلهمه على قدر تعلقه بها، وكل ما فيها يذكر بأرض الوطن الذي لا يمكن لأحد أن يجد بديلا لها. ومن بين عناصر الطبيعة التي ذكرها الروائي جلاوجي في رواياته :

1.6-الأرض _الشجرة

فهي تمثل بالنسبة لجلاوجي انتماء الأبناء لأرضهم فتكون لهم الوطن والهوية، وجذورها الضاربة في التربة لا يمكن لأي قوة مهما كان ظلمها أن تقتلع أبناء الوطن من أرضهم.

وتتضح هذه الرمزية وعمقها على لسان الطفل محمد في رواية الفراشات والغيلان حين قال: " نحن دون الأرض غير كتلة لحم بلا جذور .. بلا انتماء .. تتقاذفنا الحوادث لتنتهي بنا في مكان ما ... في زمن ما ... وتنتهي إلى الأبد "(جلاوجي ،2006،ص:23) .

تتنوع الأشجار في روايات جلاوجي ولا تُذكر إلا بقدر الحاجة إليها، وقد اعتمد الكاتب بعض أنواع الشجر، ليُظْهِرَ بطولها، ورقة جذعها كبرياء الأرض وعلو هامتها، وهي تمثل لشخصيات جلاوجي الروائية الأنفة، والعزة، القوة، والكبرياء، والثبات.

لذا نجد شجر السرو، والسنديان، وشجرة الصفصاف تتكرر في رواياته، وقد يذكر أيضا شجرة التوت لأن لهذه الشجرة صفات العلو، والثبات، فهي تناسب كبرياء وشموخ شخصيات الكاتب كما تلازم سير أحداثها، فالشجرة مثلا تُمثل لشخصية كريم في رواية رأس المحنة القوة وعلو الهامة وعدم الانحناء والذلّة مهما تأزمت الظروف ،وتعطي لشخصية صالح رصاصة الصبر والثبات وعلو الهمّة

بين ثنايا أحداث الرواية تكون الأشجار هي الأمل الذي يقذف في قلب الشخصية فيبعد عنها الانحناء والاستسلام لواقع المدينة المتدهور، فصالح الرصاصة في رواية رأس المحنة عند هروبه من المدينة متشائما من حالها قابلته "من بعيد أشجار السرو تشمخ بهامتها " "(جلاوجي،2006،ص:40). وقد أورد الكاتب ذكرها في سرد أحداث الرواية لتذكر صالح الرصاصة في الرواية وتؤكد له ضرورة أخذ القدوة والعبرة من هذه الأشجار التي يلقاها

كل يوم وهو في طريقه إلى القرية، أن يبقى مثلها ثابتا لا ينحنى ولا يستسلم لمن خانوا الوطن، ولمن حملوا الرذيلة التي سببت في فساد الوطن، وضياعه،

يقول محمود درويش في إحدى قصائده:

كل شيء سوى الندم:

هكذا مت واقفا.

واقفا كالشجر"(درويش ،1983،ص:87)

وقد أخذ محمود درويش العبرة والحكمة من الأشجار فأكثر من ذكرها في أشعاره، كذلك نجد جلاوجي نقلها إلى رواياته لأنها تعينه على غرس فكرة التشبث بالأرض إلى الممات بعزة وكرامة.

فمنير يشد من عزيمة صالح رصاصة في رواية رأس المحنة لمواصلة الدفاع عن الأرض، والتمسك بكل القيم الأخلاقية، وعدم الاستسلام للواقع مهما كان، أي بتعبيره يبقى واقفا كالشجر،:

"يا عمي صالح يجب أن نتعامل مع واقع .. مع شيء كائن لا مع ما كان .. علينا أن نقاوم إلى آخر رمق في حياتنا .. فإذا متنا يجب أن نموت واقفين .. كالأشجار يجب أن نموت واقفين "(جلاوجي ،2006 ،ص:90) "

في القرآن الكريم ضرب الله لنا مثلا بالشجرة لنعتبر بها فهي مثال القوة والثبات، فعلى كل عاقل أن ينظر بعين البصيرة إلى الطبيعة التي خلقها الله فيرى، أنَّ الشَّجَرَة عبرة لمن يعتبر، وهي الشجرة الطيبة التي تمثل كلمة التوحيد في القرآن الكريم عندما تستقر في القلب الصّادق فتثمر الأعمال المقويّة للإيمان في قوله تعال"أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ"(صورة ابراهيم،24،25). وقد أخذ الكاتب معاني الثبات والصبر من الشجرة ليسقطها على شخصياته الروائية

شجرة التوت التي تعتلي الأحداث، وتخفف من وطأة الهموم والأحزان التي تغتال منير وهو يرى أسرته وأهل الحارة تخنقهم مشاكل حارتهم فيقول " كنت أسند رأسي على يساري وأتأمل شجرة التوت التي بقيَتْ متمسكة بالحياة رغم الشروخ التي أحدثها فيها الكبار والصغار "(جلاوجي ، 2006 ،ص:187).

خيال الكاتب واسع وهو يلج الطبيعة فيجعل عناصرها رموزا تحرّك فينا معاني الإخلاص للأرض.

فالطبيعة بأشجارها وجبالها إنما تدل على الشموخ، والثبات، والعزة، والأنفة، والكبرياء، التي يريد أن يميز بها شموخ الأرض الوطن، وهي تلهم كل من فتَرتْ عزيمته للدفاع عنها، برفع الهمة ودفعهم لخدمتها وعدم الرضوخ أو الاستسلام لمن يردون إذلالها وتركيعها لمغتصبيها والمتلاعبين بها، إرضاءً لنزواتهم.

ومنه نجد أن استخدام الكاتب لرمز الشجرة بأنواعها يمثل له البعد الروحي، والإنساني الذي يريد دائما إظهاره في رواياته فالشجرة بجذورها وأغصانها لها دلالة الحفاظ على الأرض ومكتسباتها فهي متجذرة في نفوس الشخصية الروائية، تعلمها الثبات على القيم وطول الصبر، والشجرة كما ضرب الله بها مثلا في القرآن تمثل للقارئ رمز يحرك فيه معاني الإخلاص وعلو الهمة والتفاؤل أمام ما يواجه الوطن من مصاعب.

2.6- الأرض _ التراب

لقد جعل المفكر مالك بن نبي التراب عنصرا هاما ،وأساسيا وهو من مكونات الحضارة، والكاتب عز الدين جلاوجي يشير إلى قدسيته وبعده الحضاري على لسان صالح الرصاصة بقوله :

"أي سحر يملكه هذا التراب ...

تعطيه كل شيء وتحس أنك لم تعطه شيئا ...

هذا التراب يعطي بسخاء، ولا يأخذ أبدا

ما معنى حبات العرق التي نذرفها الآن على خده

وما معنى قطرات الدم "

فخدمة تراب الأرض منذ زمن تحمل مقومات وتراث أي جنس من الأجناس، إذ ترتسم عليه هويته التي تميزه عن غيره ،فليس غريبا أن تسيل الدماء عليه دفاعا على هذه المكتسبات التي خلفها الأجداد فتكون بصمة لتاريخهم وسجل خالد لأبنائهم من بعدهم فتزيدهم ارتباطا بأرضهم.

صالح رصاصة يفتخر بأغلى ما يكسب أرضه:"أكاد ألتحم الآن بصيحات الكبار من يوغرطة إلى الأحفاد الذين قضوا منذ عقود قليلة.. لم أعد أحس بالتعب وأنا أمارس

طقوس العمل في هذه الأرض..أكره الليل حين يلقي علينا برنسه الأسود شفقة علي... جمعت أدوات العمل..كومتها ناحية ووقفت ممتد القامة"(جلاوجي،2006 ،ص:15).

فالتراب يمثل للإنسان عمله وجهده لبناء حضارته التي ترسخت عبر السنين وتألقت وسط باقي الحضارات، فخدمة الإنسان لتراب الأرض تعكس هويته ووجوده، :

جمع الكاتب بين البعد الروحي في خدمة الأرض والبعد الحضاري الذي يعطي للإنسان تألقه ووجوده في الأرض فتزيده تمسكا بها .

إذ "أن لكل شعب وأمة (منظور حضاري) يتجلى من خلال القيم والممارسات والخصال والثقافة التي تحدد الهوية الحضارية، وتدل على الخصوصية، وتكشف أبعاد المساهمة في تقرير مصير التقدم العالمي وفي صيانة المعاني الكبرى للوجود الإنساني .. بَيْدَ، أن اختلاف ظروف نشأة الأمم والمجتمعات البشرية، قد خلق بدوره تفاوتا في كيفية تعبير كل شعب وأمة عن منظوره الحضاري، وفي موقفهما من هذا المنظور ودرجة التمسك به أو مراجعته وتطويره " (فرح ،ص:17) .

ومن بين أدوات التعبير الحضارية التي أظهرها الكاتب على لسان شخصيته صالح رصاصة ممارسته طقوس العمل على أرضه وإخلاصه في خدمتها،وقد أحسَّ فيها بالكبرياء والشموخ حيث وقف ممتدَّ القامة لأن ما يقوم به إنما يعكس وجوده كإنسان. .

وقد يرمز جلاوجي للجزائر بالتراب الذي لأجله ضحى المخلصين دفاعا عنه، وحفاظا على المكتسبات .، فالتراب عند جلاوجي له بعده الروحي والحضاري

3.6-الأرض _ الماء

إذا كان الماء مصدر النقاء والطهارة فإنَّ استخدام الكاتب له في رواياته التخييلية يبرز البعد الروحي الذي يريد أن يؤكد عليه دائما في معظم رواياته خاصة في رواية سرادق الحلم والفجيعة .

يقول الله تعالى:"أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"(صورة الانبياء،30) والكاتب جلاوجي جعل من هذا الماء الذي يبعث الحياة في كل موجودات الأرض عنصرا هاما وأساسيا في سرد أحداث بعض من رواياته التخييلية..

يذكر الكاتب الماء في رواية سرادق الحلم والفجيعة ليُحيِ موات الشاهد الذي حاول تغيير واقع المدينة بوعيه الرافض للظلم والتضييق فحي كما يُحْكَى عنْه" "ترقَّى في المعرفة حتى انتهى إلى درجة الوصول" ممّا أدخل عساكر المدينة المومس في قلق وغضب كبيرين: " تريد أن تزعج موتانا فتزرع فيهم الحياة؟ وتريد أن تقلق المدينة فتوقظها من سباتها العميق وتنغص عليها أحلامها الجميلة "(جلاوجي ،2006،ص:39) لأنه سيسبب بعلمه يقظة أهل المدينة.

كاد "حي" يُحدث تغييرا فكريا، وعقائديا يؤمن به في المدينة، غير أن أهل المدينة لم يأخذوا بيده، ولم يعينوه على تثبيت فكرته فهم "نوَّم، موتى صامتون لا يمكن للبطل أن يجد لهم مؤازرة في صراعه السياسي أو من يحمل فكره وطروحاته ليواجه بها حكام المدينة فالجميع في سبات جميل"(جلاوجي،2008ص:343) ،إلى أن أصابته عدوى المدينة المومس حين أغرته وسحرته بغوايتها و:"سلمته تفاحة حمراء لم يذق أحلى منها قط ... وراحا يتهاديان في الشارع الكبير سكيرين ثملين"

حينها تغير حي " وجدت قلبي يمور بالحقد على ذوي العينين العسليتين، وعسل النحل، ونور الشمس، وشذا الزهر، وسنان الرمح، أين أجد هؤلاء الأنذال؟ لقد شردهم الغراب في الفيافي والقفار والجبال عساهم يموتون هناك .. لكن هذا لا يتناسب مع تطلعاتي لا بد من القضاء عليهم قضاء مبرما "

تحول قلب حي بن يقظان إلى قلب مملوء بالحقد والضغينة على كل من عادى المدينة المومس، وسارع " لتدمير شلال الماء عن آخره، المدينة عدوة الماء .. الماء يعني الموت .. يعني الزوال .. التلاشي .. الاندثار .. الانتثار .. الانهيار .. الانتشار .. هباء منثورا، لا بد من القضاء على آخر قطرة ماء " "(جلاوجي ،2008،ص:118) .

وقد أدرك الكاتب من القرآن الكريم أن الماء مصدر خير للإنسان يطهر النفس، والقلب، والروح من جميع الرذائل وسوء الأخلاق، مستندا للآية الكريمة قوله تعالى:" وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ " (صورة الانبياء،30) فلم يجد المجذوب طريقة لإنقاذ حي من غواية المدينة إلا برميه وسط حوض الماء ليحييه من جديد، وتتنقى نفسه من الضغينة والأحقاد "ضغوط .. ثغوت .. لغوت .. داهمني موج الإغماء وأنا أستمع إلى صوت النار المشتعلة في أحشائي ينطفئ، وقفز الشيخ المجذوب فوقي يدلكني دلكا شديدا فأغدو

تحت رجليه كالعهن يخرج مني عفن .. نتن .. ومازال بي حتى رها ماء الشلال، وعذب وانساب سلسبيلا فراتا فقفز من فوقي بعيدا "(جلاوجي ،2006 ،ص:120) .

وهنا تتجلى أهمية عنصر الماء عند الكاتب ومعانيه المأخوذة من القرآن الكريم ، فهو يمثل مصدر حياة كل شيء، وبسعة خيال الكاتب يصبح الماء طهارة للنفس الفاجرة التي تريد أن تواصل مسار نعل، والغراب بتدمير آخر ما تبقى من الحياة في المدينة " شلال الماء"

غير أن المجذوب وحكمته في الرواية جعلته يدرك أن ضرورة إنقاذ آخر ما تبقى من هذه المدينة وهو حي بن يقظان ليحيي المدينة بفكره، هو الشاهد الذي تعلقت الآمال فيه ليغير وضع المدينة المومس ويوقظ أهلها من سباتهم العميق

وأن الماء كما جاء في تفسير آية "وجعلنا من الماء كل شيء حي" أن الكاتب يوجه أنظار وقلوب الناس إلى قدرة الله في الإحياء "إذ يوجه مداركهم إلى وحدة النواميس التي تحكم الحياة في هذه الأرض، وإلى وحدة مصدر الحياة "(قطب ،2003،ص: 2365)

إن انتشار الناس حول الربوة التي بها الولي الصالح في رواية "الرماد الذي غسل الماء" كان سببه انسياب الماء من النبع مماً أدَّى إلى اخضرار الأرض ورجوع الحياة فيها، والذي تسبب في انقطاع الماء والحياة فيها هو فساد الناس.

فالبعد الروحي الذي يلازم الكاتب في الكثير من رموزه الطبيعية هو الذي طبع معظم رواياته لأنه يعكس بشكل واضح تأثره الكبير بالقرآن الكريم ومعانيه.

4.6-الأرض -الزيتونة

إذا رجعنا إلى الرواية الفلسطينية فإننا نجد " شجرة الزيتون دائمة الحضور في رواية الأرض الفلسطينية بل في النتاج الروائي الفلسطيني عامة "بينما يقل ذكرها في روايات جلاوجي فتظهر فقط في روايته الأخيرة سرادق الحلم والفجيعة، قد يكون سبب ذلك اختلاف الدافع لاستعمالها كأداة فنية بين كاتب وآخر فتتنوع الدلالة، ففي الرواية الفلسطينية تعتبر رمزا "يدل على رسوخ جذور الشعب في أرضه وعلى استمراره في الزمن"(صالح،2004،ص:160) ، كما تمثل انتماء أرض فلسطين إلى جذورها العربية الذي عرفته منذ أقدم حقب التاريخ

بينما عند جلاوجي تمثل البعد الروحي والهوية الدينية ،فالزيتونة في رواية سرادق الحلم والفجيعة كانت تغطي شلال الماء حتى لا يدمره أحد ،فهذه الشجرة التي تظلل الشلال لها

دلالة التمسك بالأصالة والتاريخ ،وخوف ضياعهما، وهو بهذا المعنى يرجعنا إلى " الظَّلال المقدَّسة التي تلقيها الشجرة المباركة، ظلال الوادي في الطور، وهو أقرب منابت الزيتون لجزيرة العرب "(قطب ،2003،ص: 2519) .

فالزيتونة تحافظ على بقائها لأنها تُسْقَى من نبع طاهر يزيدها نورا على نور ،وهذا النور الذي يشاع في الأرض يستمد منه الناس قوتهم، "فهو من الشفافية بذاته . والإشراق بذاته، حتى يكاد يضيء بغير إحراق،"ولم تمسسه نار..نور على نور"،وبذلك نعود إلى النور العميق الطليق، إنه نور الله الذي أشرقت به الظلمات في السماوات والأرض ،النور الذي لا تدرك كنهه ولا مداه، وإنما هي محاولة لوصل القلوب به والتطلع لرؤياه "(قطب، 2003، ص: 2365).

يقول الله تعالى: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"(صورة النور،35) .

فالزيتونة في الرواية لها ظلال، فهي بهذا نافعة بزيتها المبارك، وأغصانها:

"وقفت عند زيتونة عرشَتْ على الأرض تخفي بمكر شديد منهل الشلال،انبسطت أساريري.. دمعت الزيتونة زيتا يضيء نور على نور(جلاوجي ،2006 ،ص:119) .

فهذا النور الذي ذُكِرَ في الرواية يُجْلِي القلوب لرؤية الحق،وهذه الشجرة المباركة التي ذُكِرَتْ في القرآن تأثَّرَ الكاتب بمعانيها فأعطى للرواية بعدا روحيا..

فحين رُميَ الشاهد في الماء وتسلَّلَ الماء إلى عضامه،عاد إلى الحياة بعد موات "تأمَّلْتُ الزيتونة تستوي على عرشها فوقي .. تحتضنها هالة، ترفرف حولها إبتسامات حالمة .. عذبة .. بريئة . تدغدغ أفانين الزيتونة " (جلاوجي، 2006، ص: 120).

فالزيتونة عند الكاتب تحمل القيم الروحية والأخلاقية المأخوذة من القرآن الكريم والتي تبعث في أرض المدينة أمل الحياة ،فينتشر النور الذي يضيء بصيرة الشاهد لأنه آخر ما تَبَقَّى في المدينة المومس ،والذي يتوسّم فيه المجذوب الخير ،لإنقاذ الصالحين من أهل المدينة من خطر الطوفان المدمَّر.

الخاتمة

إن حب الكاتب لأرضه ووطنه الجزائر وإخلاصه له خاصة زمن العشرية السوداء جعله يحمل حسا فنيا جسد هذا الحب من خلال توظيفه للرمز ،وقدرته على التنويع فيه أوصلت معانيه المختلفة إلى القارئ .

لقد كانت المرأة أقرب صورة للكاتب لتجسيد الرمز لديه ،لأنه في توظيفه لها محملة بالتراث تعكس بعده التاريخي و الانساني ،وهذا مازاد من تعميق المعنى عند القارئ من خلال ربط الجيل الحاضر بماضيه فكريا ولغويا ، أما رمزية الأرض الأم فهي بالنسبة للكاتب تحمل معاني العطف والحنان التي ترسخ فكرة التمسك بالأرض ،وعدم التنازل عنها مهما مر من صعاب،وهذا يمثل للقارئ كل معاني الانتماء والهوية ، أما رمز الارض الحبيبة هي أداة فنية أخرى تظهر للقارئ كبرياء الأرض وعنفوانها وهي تعكس الحس الجمالي للكاتب ،أما بقية الرموز المأخوذة من الطبيعة التي استهوت الكاتب تعكس بعده الفني والديني فهي تربط القارئ بتاريخه وعقيدته لأنها تمثل الجذور التي لا يمكن الانفصال عنها،فكل هذا التنوع في الرموز يؤكد قدرة الكاتب الفنية في تجسيد معاني الارض وإظهار قدسيتها وجمالها مما يشد القارئ أكثر إلى فك شفراتها ،واستنباط معانيها التي تزيد من حبه وإخلاصه إلى وطنه .

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. حيدر توفيق بيضون،(1991)،محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، لبنان ،دار الكتب العلمية.
3. محمود درويش، (1983) ديوان محمود درويش، بيروت، دار العودة .
4. محمد حطاب،(2009)،سيميائية الشخصية النسوية في رواية رأس المحنة لعز الدين جلاوجي ،الجزائر،مجلة إيلاف.
5. أحمد أردغان ،(1996)، في الأدب الجزائري الحديث ،دمشق ، دراسة منشورات إتحاد الكتاب العرب .

6. فوزي الزمرلي ،(2007)،شعرية الرواية العربية :بحث في شكل تأصيل الرواية العربية ودلالاتها ،سوريا،مؤسسة القدموس الثقافية .
7. محمد علي كندي،(س ن)، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث،بيروت ،دار الكتاب الجديد المتحدة .
8. عز الدين جلاوجي ،(2006)،رأس المحنة 1+1=0 ،الجزائر ، دار هوم .
9. محمد بلقايد ،(1988)،أبو زيد الهلالي : سيرة بني هلال" ملحمة "،(م ن) .
10. عز الدين جلاوجي ،(2008) سلطان النص، دراسات، الجزائر ،دار المعرفة .
11. محمد حطاب،(2009)،سيميائية الشخصية النسوية في رواية رأس المحنة لعز الدين جلاوجي ،الجزائر،مجلة إيلاف.
12. عز الدين جلاوجي ،(2006)، الفراشات والغيلان ، الجزائر ، رابطة أهل القلم .
13. محمد فتوح احمد،(1979)، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، القاهرة ،دار المعارف .
14. إلياس فرح،(س ن)، مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية ،بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر .
15. عز الدين جلاوجي ،(2006)،سرادق الحلم والفجيعة ،الجزائر ، منشورات أهل القلم .
16. السيد قطب،(2003)في ظلال القرآن،المجلد الرابع ،الأجزاء 12_18،القاهرة،دار الشروق.
17. نضال صالح،(2004)،نشيد الزيتون قضية الأرض في الرواية العربية والفلسطينية ،دمشق ،منشورات إتحاد الكتاب على شبكة الانترنت.